ليلة من نوفمبر

بين الشاعر الموتور في حبه وبين موزا ربة الشعر

الشاعر : أهذه أنت ؟ عليك السلامْ ! أنت التي فارقتني منذ عامْ
أجئتِ في الحبِّ تُعزِّيني ؟ لقد مضى الحبُّ وراحَ الغرامْ
أجئتِ للإلهام ؟ أهلاً إذنْ لاعُدْتُ لعتْبٍ ولا للملام

الطيف : جئتُ في الحبِّ أعزّي وقد فات كما أعلمُ وقتُ العزاء
وإنما جئتُ لتيّارةٍ تَيَّمْتَها يا شاعري بالغناء
طارَ لحوني في البراري كما تهوي ذئابٌ جائعاتٌ ظِماء
والليلُ يبدو حالكاً غامضاً كأنه سرٌّ وعاهُ الخفاء
وكُوَّةُ الدارِ على وجفةٍ تُضيئُها من زمهرير الشتاء
وحيثُما دُرتَ بعينٍ ترى شيئاً يُريدُ الخلدَ . يهوى البقاء
أين إذن فيشاركُ المجتبي هل تُثمرُ فيه عوادي الفناء ؟

شاعر : إني هُنا وَحْدي أعيشُ في سُهْدِ
لا نار تحميني غائلة البردِ
أهيمُ في وادٍ ليس بذي حَدِّ
فإنْ كنتِ تبغينَ فيثارتي فثمَّ بإحدى الزوايا الامينه
هُنالك غارقةٌ في الدموعِ كما لفظ الموج باقي السفينه
تُطيفُ بها صورُ الأمسيات وتأخذُها الذكرياتُ المزينه

الطيف : جوابُكِ فيه دنينُ الأسى كأنكَ ما زلتَ في « أسرها »
هَلُمَّ نَقُصَّ أحاديثها لعلكَ تُراحُ من ذكرها

الشاعر : حَسِبْتُها في الورى ملاكاً وقلتُ لا تفهمُ الرذيلة
عَشِقْتُها الروحَ والسجايا ولم تكُ العادةَ الجميلة
وهبتُها فوقَ ما تُرجّي ولم أدَعْ في يدَيَّ حيلة

غنّيتُها في الربيع أحلى ما قاله الطيرُ في خميله
الطيف : فهل أجابتْ توسلاتِ ردّدتها في الهوى طويله ؟
الشاعر : أجل ! بل لقد محضتني الهوى وصرتُ فتاها وأحلامها
إذا أنا جافيتُها مرّةً تلجّى سنا الشمس قدّامها
وإن أنا أخلفتُ ميعادها بكتْ ونما الشكُّ أوهامها
وما كان أكثرها فتنة ! . . .
الطيف : أما قلتُ لم تلكَ ذاتَ الفتونْ ؟
الشاعر : صدقتِ . . ولكنْ سنا روحها أضاء بوجناتها والعيون
إذا ابتسمتْ وإذا عابثتْ وإن لفتْ جيدَها والجبين
فكانت لدَيّ أعزّ النساء وأحلى بفتنتيها لها تكرن
الطيف : ثم ماذا ؟ كيف خلتْ قلبَك المفتونَ يدري ؟
الشاعر : لستُ أدري خدعت قلبي . . وكان الحُبُّ أعمى !
أم أنا بدّلتُ منها جهلَها بالشرّ علما
فوهبتُ السهمَ كفّا لم تجد غيري ترمي
علمتْ كيفَ تثيرُ الغيرةَ الحمقاءَ فيّا
الطيف : أو ما كنت قرير العين ؟
الشاعر : بل كنتُ شقيّا
أعرفُ النقصَ الذي فيّ ولا أرجو وفيّا
وأنا الساعي من البدْ ء ولم يُسْعَ إليّا
ربّ وهمٍ جسّمتهُ مُقلةُ الشكّ لديّا
الطيف : وهبيَ ؟
الشاعر : ما كانت تُبالي من جميع الأمر شيّا
بعدما شدّتْ زماميَ ساقتِ الدلّ عليّا
الطيف : ثم ماذا كان ؟
الشاعر : حِقدٌ ثائرٌ في جانبيّا

أحسبُ الوجْدَ طواهُ ثمَّ ألقاهُ فتيّا
الصبا عادتْ يموماً تقتلُ الزهرَ النديّا
وأتى اليومُ الذي أصفتُ به لسوى البلبل ذي القلب الحزين
الطيف : يا له من طائرٍ جدّ أمينْ يا لها من زنبقٍ غير أمين
الشاعر : لم تَعُدْ زنبقة بل وردةٌ ذاتِ شوكٍ خائنٍ يدمي الوتين
الطيف : فلماذا لم تظأها في الثرى ؟
الشاعر . كان منها الظلُّ يجري في الجبين
عُدتُ من هولِ جراحي كارِحاً كلُّ ما غنّى نوادي من لحُزن
هذه قيثارتي حطمتُها ودفنتُ الأمسَ في دمعٍ كتوم
الطيف : لك الله في الحبِّ يا شاعري وعوفيت من جرحك الغائر
تعالَ انظرِ الآنَ وجهَ الرياضِ لقد رفَّ بالزنبقِ الطاهر
الشاعر : هراءٌ ! فليس ترى مقلتاي سوى الورد في شوكه النادر
الطيف : . . لأنك تنظر وجه الأديم.. تطلع الى الفلك الدائر !
تطلع تر الزنبق المستحب هنالك في الشرق الزاهر
(وتكشف النافذة العتيقه عن لمحة من السنا وضيئه)
(تسرّبت من أفرع الخميله)
الشاعر : حقّاً . . جميلٌ ربيّ ما أرى !
الطيف : فلتهتف الآنَ بلحن جديد
مع الضنا والظل بين الربى مع الغصون الخضر تشوى تميد
مع الهزاريّ إذا أقبلت تمرح في التلّ الرطيب المديد
اليك قيثارٌ له رنةٌ أرق ما يرجو الفؤاد السعيد
(ويمسكُ القيثار باليدين مبتسماً مخرورق العينين)
(في شاهب من السنا لجين)
ويختفي الطيف كما أتاه فتسكب الغصونَ شفشاه

. . . . . .

لعله ينسى إذن هواه !

القاهرة يوسف جبرا